روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

خيط اللهب

٣٢

• رجل المستحيل • خيط اللهب • (٣٢) • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة •

المؤلف



د. نبيل فاروق





رجل المستحيل سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة



٣٢

● خيط اللهب ●

- لماذا أرسلت المخابرات المصرية (أدهم صبرى) إلى قلب إسرائيل فى السبعينات ؟
- كيف يحصل (أدهم صبرى) على الوثيقة ، التى يحفظها وزير الدفاع الإسرائيلى فى خزانته الخاصة ؟
- تُرى .. أينجح (أدهم) فى الحصول على حريطة النابالم ، أم يفشل فى قطع (خيط اللهب) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة .. لترى كيف يعمل .. (رجل المستحيل) .



لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق



١ ــ المهمة الثانية ..

رفع مدير المخابرات رأسه يتأمل (قدرى) البدين ، الذى وقف قبالته مرتبكًا مترددًا ، حتى أن مدير المخابرات قال يستحثه على الكلام :

ــ حسنًا .. ماذا تريد يا (قدرى) ؟

حاول (قدرى) أن يبتسم وهو يقول فى ارتباك :

ــ كنت قد وعدتنى بـ .. أقصد .. قصة (أدهم) .

ابتسم مدير المخابرات ، وهو يعود بمقعده إلى الوراء قائلًا :

ــ آه .. لقد ذكّرتنى يا (قدرى) ، لقد انتهت بالفعل من قراءة ملف المهمة الثانية لـ (رجل المستحيل) ، والتى أطلقت عليها الإدارة اسم (خيط اللهب) .. لقد كان ذلك فى نهايات شهر سبتمبر من عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ، وكان (أدهم) قد رقّى إلى رتبة الملازم أول فى صفوف الصاعقة .

ثم رفع حاجبيه مستطردًا :

ــ لقد كانت مهمة رائعة ، وهى السبب الرئيسى فى إطلاق لقب (رجل المستحيل) على (أدهم صبرى) .

غمغم (قدرى) فى مزيج من الفضول ، والاهتمام ، والارتباك :

ــ هل يمكننى الاطلاع عليها يا سيِّدى ؟

ابتسم مدير المخابرات وهو يومئ برأسه إيجابًا ، ويشير إلى ملف أنيق إلى جواره ، فأسرع (قدرى) يختطف الملف ، وهو يسمع مديره يقول :

ــ ولكنك ستطالعه وحدك يا (قدرى) هذه المرَّة ، فأنا مشغول للغاية .

تمتم (قدرى) فى شكر :

ــ لا بأس يا سيِّدى .. شكرًا لك .

وتوجَّه فى خطوات سريعة نحو باب الغرفة ، ثم لم يلبث أن توقَّف ، واستدار إلى مدير المخابرات ، متسائلًا فى لهجة أقرب إلى الحزن :

ــ كيف حاله الآن يا سيِّدى ؟

أجابه مدير المخابرات مبتسمًا :

ــ أفضل يا (قدرى) .. ، لقد اجتاز مرحلة الخطر ، ولكنه لا يزال فاقد الوعى فى الرباط(*) ، ولقد تحدَّثت تليفونيًّا إلى شقيقه الدكتور (أحمد صبرى) وأكَّد لى أنه متفائل للغاية .

تهلَّلت أسارير (قدرى) ، وهو يهتف فى سعادة :

ــ شكرًا لك يا سيِّدى .. لقد طمأنتنى كثيرًا .

ثم غادر الغرفة ، وأسرع فى ممرَّات مبنى المخابرات ، وقد انتابه مرح مفاجئ ، يلقى التحية على من يقابله ، حتى وصل إلى غرفته ، فأغلق بابها خلفه ، وفتح درج مكتبه ، وتناول منه لفافة كبيرة ، لم يكد يفضها حتى فاحت منها رائحة شهيَّة ، وقبض هو منها على شطيرة أخذ يلتهمها فى شراهة ، وهو يفتح ملف عملية (خيط اللهب) مغمغمًا :

(*) راجع قصة (الرمال المحترقة) .. المغامرة رقم (٣٠) .

— كم أتمنى أن أعاود قراءة هذه الملفات مع (أدهم) .. لا شك أن ذلك سيسعده للغاية .

وفى اهتمام ولهفة ، أزاح الورقة التى تحمل اسم العملية ، ثم التقى حاجباه وهو يبدأ قراءة الملف فى تركيز كبير ، حتى أنه نسى التهام باقى شطيرته برغم رائحتها التى ملأت المكان .

* * *



٢ — أنابيب النار ..

تزايدت الحركة بشكل ملحوظ ، فى الطابق الثانى من مبنى المخابرات الحربية المصرية ، فى ذلك الصباح المشرق من شهر (سبتمبر) ، عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ، حيث طلب مدير المخابرات عددًا من أبرز ضباطه لعقد اجتماع هام ، وعاجل ، وبرغم وجود الطابق وسط بناء محاط بالسرِّيَّة البالغة ؛ إلّا أن قيودًا إضافية وضعت حول مكتب مدير المخابرات بالذات ، مما أوحى للجميع بمدى سرِّيَّة وخطورة الأمر الذى عقد الاجتماع من أجله ...

وفى مكتب مدير المخابرات ، كانت المناقشات تحتدم حول خريطة تمثل قناة السويس ، بسطها مدير المخابرات فوق مكتبه ، وحينما نقفز داخل المناقشة ، فسنجد المدير يقول للمحيطين به من ضباط المخابرات :

— لقد حرص الإسرائيليون على إحاطة توزيع أنابيب النابالم المعدّة لإغراق سطح القناة بالسرِّيَّة البالغة ، وهم

يبون إشعال نيرانها فى حالة حدوث هجوم أو محاولة لعبور القناة .. ولا يخفى على أحدكم أننا على مشارف الحرب ، ولا بدَّ لنا من معرفة الفتحات الخارجية لهذه الأنابيب ، حتى يمكن لرجال الصاعقة إبطال مفعولها قبيل العبور مباشرة .

قال أحد ضباط المخابرات :

ــ يقال إن خرائط توزيع أنابيب النار هذه ، محفوظة فى غرفة وزير الدفاع الإسرائيلى شخصيًا يا سيِّدى .

قطَّب مدير المخابرات حاجبيه ، وقال فى حزم :

ــ ولا بدَّ لنا من الحصول عليها مهما كان الثمن .

خيم الصمت التام بعد عبارة مدير المخابرات ، وبدأ كلُّ من الحاضرين يفكّر فى وسيلة لإنجاز هذا العمل الذى يبدو مستحيلًا ، وقطع مدير المخابرات أفكارهم وهو يقول :

ــ سأطلب منكم العمل أربعة وعشرين ساعة يوميًّا ، ونبش كل كلمة فى كل الملفات المتعلّقة بإسرائيل ، والبحث عن أكثر الوسائل أمنًا وفعالية للوصول إلى الخزانة الخاصَّة ،

والحصول على خريطة توزيع أنابيب النار .. لن يذوق أحدكم طعم النوم بعد هذه اللحظة .. هيَّا لنبدأ على الفور .

* * *

بعد مضى عشر ساعات على هذا الاجتماع الطارئ ، وداخل غرفة ضابط مخابرات مصرى يدعى (عزت مختار) ، بدت الفوضى شديدة بكل هذه الملفات المتناثرة فوق مكتبه ، وعلى أرضية الغرفة ، وامتلأ جوّ الغرفة بدخان السجائر التى يشعلها واحدة بعد الأخرى فى شراهة ، ويرتشف بين الفيْنَة والفيْنَة رشفة كبيرة من كوب شاى ضخم ، تتصاعد أبخرته المشبَّعة برائحة النعناع المنعشة ، وإلى جواره عدة أكواب أخرى فارغة ، جفت فيها بقايا المشروب ، على حين جلس زميله (فؤاد حسين) يقلّب عدة ملفَّات أخرى فى توتُّر واهتمام ، وقد شغلهما الأمر تمامًا حتى عن الحديث ، إلى أن هتف (عزت) فجأة ، فى لهجة توحى بالظفر :

ــ وجدتها .. وجدتها .

لم يتمالك (فؤاد) نفسه من الابتسام ، وهو يقول :

— أتظن نفسك (أرشميدس) ياصاحبي ؟

تجاهل (عزت) التعليق الساخر ، وقال وهو يختطف أحد الملفات ، ويقفز نحو باب الغرفة :

— لقد عثرت على الوسيلة .

انطلق (فؤاد) خلف زميله دون أن يفهم شيئًا ، على حين قفز (عزت) درجات السُلَّم من الطابق الأول ، حيث مكتبه إلى الطابق الثانى حيث مكتب مدير المخابرات ، ودقّ بابه فى لهفة وعجلة ، ولم يكد يتلقى أمرًا بالدخول حتى دفع الباب ، واندفع داخل الغرفة صائحًا :

— لقد وجدت ما نحتاج إليه يا سيِّدى .

التقى حاجبا مدير المخابرات ، وهو يسأله فى لهفة :

— أحقًا ؟!.. هات ما لديك يا (عزت) .

فتح (عزت) أوراق الملف فوق مكتب مدير المخابرات ، وقال فى انفعال ، وهو يشير إلى صورة تتوسَّط إحدى الأوراق :

— انظر يا سيِّدى .. هذه صورة السكرتير الأول لمكتب وزير الدفاع الإسرائيلى .. لاحظ ملامحه جيِّدًا .. من يشبه ؟

حدَّق مدير المخابرات فى الصورة جيِّدًا ، ثم غمغم :

— يا إلهى !!

وفى حركة سريعة ، انتزع أحد الملفَّات من رفّ صغير خلف مكتبه ، وقلَّب أوراقه فى سرعة ، حتى توقَّف أمام صورة ما ، وهتف :

— إنه قريب الشبه إلى درجة مدهشة بملازم الصاعقة هذا .

ابتسم (عزت) ، وقال فى فخر :

— نعم يا سيِّدى ... إنه يشبه الملازم (أدهم صبرى) ، ومع قليل من المكياج لن يمكن تمييز أحدهما عن الآخر .

تدخَّل (فؤاد) قائلًا :

ــ ولكن مثل هذه الأمور لا تعتمد على التشابه الشكليّ يا سيِّدى .. فهناك أسلوب الحديث ، والصوت ، والمميِّزات العامّة ، و ....

صاح (عزت) فى ثقة :

ــ لقد تعاملت مع (أدهم صبرى) هذا من قبل ، وأراهنكم أنه سيستوعب كل ذلك فى فترة قياسيّة ، ولدينا هنا كل التسجيلات المطلوبة ، و ....

قاطعه مدير المخابرات ، قائلًا فى تشكك :

ــ مستحيل يا (عزت) .. لن يمكن لرجل مهما بلغت كفاءته أن يتقن ذلك كله فى خمسة أيام ، وهذا كل ما لدينا من وقت .

قال (عزت) فى حماس عجيب :

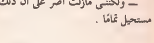
ــ دَعْ لى الأمر يا سيِّدى ، وسأتحمَّل المسئولية كاملة .

ساد الصمت تمامًا فى حجرة مدير المخابرات ، إلى أن قطعه هو قائلًا :

ــ حسنًا يا (عزت) سأمهلك يومين فقط ، وسنقرر الأمر طبقًا لما يمكن أن تسفر عنه الأمور .

وعاد إلى صمته لحظة ، ثم أردف :

ــ ولكننى مازلت أصرُّ على أن ذلك مستحيل .. مستحيل تمامًا .



* * *



٣ ــ المعجزة ..

ــ مستحيل .. هذا رائع .. بل أكثر من رائع .

نطق مدير المخابرات المصرية هذه العبارة ، وكل خلجات وجهه تعبّر عن دهشته الشديدة ، والإعجاب البالغ ، حتى أنه عجز عن تصديق أن الواقف أمامه فى احترام هو (أدهم صبرى) ، الملازم فى قوات الصاعقة ، بل كاد يقسم فى اللحظات الأولى أنه (ليفى باروخ) السكرتير الأوّل لوزير الدفاع الإسرائيلى بهيئته ، وصوته ، وأسلوب حديثه البطيء المتّزن .. حتى تلك الحركة العصبيَّة التى اشتهر بها ؛ ألا وهى حكّ ما خلف أذنه فى أثناء التفكير ..

صاح (عزت) فى فخر ، وهو يربّت على كتف (أدهم) :

ــ لقد كنا نظن استيعاب ذلك مستحيلًا فى خمسة أيام يا سيِّدى ، وها هو ذا (أدهم) ، قد أنجزه فى يومين فقط .

إنه ممثل رائع .. لا يمكننى أن أصدّق ذلك .

هتف مدير المخابرات يسأل (أدهم) :

ــ كيف فعلت هذا أيها الملازم ؟. أنت معجزة .

ابتسم (أدهم) ابتسامة هادئة ، وقال :

ــ لقد اعتدت ذلك منذ طفولتى يا سيِّدى .

ضحك مدير المخابرات ضحكة تموج بالدهشة ، وهو يسأله :

ــ ولكن الصوت ، والأسلوب ؟ أنت تفوق أعظم ممثّل فى العالم .

قال (عزت) فى فخر ، وإعجاب :

ــ لقد بدّل ملامحه بنفسه يا سيِّدى .

فغر مدير المخابرات فاهُ صائحًا :

ــ مستحيل .

غمغم (أدهم) فى هدوء الواثق :

ــ لا يوجد ما يسمى بالمستحيل يا سيِّدى .

صاح مدير المخابرات :

ــ هذا صحيح يا بنىّ ، أنت نفسك دليل على ذلك .

ابتسم (أدهم) ، وسأل :

ــ متى سأسافر إلى هناك يا سيّدى ؟

صمت مدير المخابرات لحظة ، ثم قال :

ــ هذه المهمة على درجة عالية من الأهمية والخطورة أيها الملازم ، والأمر لا يحتمل إسنادها إلى أكثر من رجل ، وهذا يعنى أنك ستقوم وحدك بكل شىء ، بعد أن تُزوَّد بالمعلومات اللازمة .. إن الوصول إلى (تل أبيب) ليس بالصعوبة التى يتصوَّرها الجميع ، ولكن المهمَّة الفعليَّة تبدأ هناك ، وسيكون عليك احتلال مقعد (ليڤى باروخ) دون مساعدة ، فهل أنت قادر على ذلك ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال فى لهجة تشف عن اللامبالاة :

ــ بالطبع يا سيّدى .

ساد الصمت لحظات ، ثم عاد مدير المخابرات يقول :

ــ ومن الضرورى حصولنا على خريطة توزيع الأنابيب فى أول أكتوبر بالتحديد ، ومن الضرورى أيضًا ألا يشعر الإسرائيليون بذلك ، وإلَّا انكشفت أوراقنا أمامهم .

قال (أدهم) فى إيجاز :

ــ نعم يا سيّدى .

تنهَّد مدير المخابرات وهو يتفحَّص (أدهم) ، ثم قال فى جدِّية ، واهتمام :

ــ ستسافر إلى (أثينا) هذا المساء ، ثم تصل إلى (تل أبيب) فى الصباح الباكر ــ بإذن الله ــ وسيكون أمامك منذ تلك اللحظة أربعة أيام ، للحصول على الخريطة ، وبعدها سيكون الأمر قد فشل تمامًا .

رفع (أدهم) يده بالتحية العسكرية ، وهو يقول فى لهجة ارتجفت لها أجساد الحاضرين حماسًا :

ــ لن تفشل (مصر) أبدًا يا سيّدى .

قال مدير المخابرات فى حماس مماثل :

ــ وفَّقك الله أيها الملازم .

* * *

٤ ـ فى قلب إسرائيل ..

مالت الشمس إلى المغيب فى ذلك اليوم من الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر ، وبدت شوارع (تل أبيب) مكتظّة بالمارّة ، وكل منهم يضم (ياقة) معطفه ، اتقاءً لموجة البرد المفاجئة التى اجتاحت البلاد ، باستثناء ذلك السائح الإنجليزى ، الذى سار فى خطوات وئيدة يتطلّع إلى ما حوله فى سعادة واهتمام ، شأن السيّاح فى كل الأقطار ، وقد تدلّت من كتفه آلة تصوير بسيطة ، من ذلك النوع الذى يستخدمه العامة فى (إنجلترا) ..

وبدا الشاب عاديًّا بسيطًا حتى أنه لم يلفت انتباه أى من الجنود ، الذين يحرسون مدخل البناية الشاهقة ، التى يقيم فيها (ليفى باروخ) ، وحتى الشاب نفسه ألقى على الجنود نظرة لامبالية ، ثم دخل فى هدوء وثقة إلى العمارة الملاصقة ، وهو يطلق من بين شفتيه لحنًا إنجليزيًّا شهيرًا ،

ولكن هذا الموقف تبدّل تمامًا ، حينما صعد الشاب إلى الطابق الأخير من العمارة ؛ إذ اختفت فجأة نظراته العابثة ، ونفض عنه ذلك الكسل الزائف ، وبدا وكأنما تدفّق النشاط فى عروقه بشكل مباغت ، وقفز العزم إلى وجهه صارخًا ، وهو يغلق خلفه باب مسكن صغير ، تطلّ نوافذه الضيّقة على جانب البناية التى يقيم فيها (ليفى باروخ) ، وعلى نفس الطابق تمامًا .

اقترب الشاب فى حيوية من إحدى النوافذ الضيّقة ، وأطل على الطريق الضيّق ، الذى يصل بيْن المبنيين ثم ابتسم فى سخرية قائلًا :

ـ جنود فى كل مكان .. يبدو أنك تعيش فى قلق دائم يا سيّدى (ليفى باروخ) .

لم يكن هذا الإنجليزى الشاب سوى (أدهم صبرى) ، الذى انهمك فى إعداد حقيبة صغيرة الحجم ، من النوع الذى يثبت بحزامه ، وراجع محتوياتها ، ثم خلع معطفه ، فظهر من تحته زىّ داكن شديد السواد ، وعاد يتطلّع من خلال النافذة ، وكان الظلام قد ساد تمامًا ، فابتسم قائلًا :

— هيّا أيها الوغد ، لا تخالف ما اعتدت عليه .. إنك تأوى إلى فراشك فى العاشرة والنصف تمامًا .

لم يكد (أدهم) يتم عبارته ، حتى أطفئت أنوار غرفة نوم (ليفى) فى البناية المقابلة ، فابتسم (أدهم) ساخرًا ، وغمغم :

— هذا ممتاز .. إنك تحافظ على عاداتك جيّدًا يا مستر (ليفى) .. سأتركك ساعة أخرى حتى تستغرق فى النوم ، وأتعشّم ألّا تصاب بالأرق هذه الليلة ، وإلّا كان ذلك فى غير صالحك .

وصمت لحظة ، ثم عاد يغمغم فى تهكّم :

— فأنا لا أحبُّ أن أقتل رجلًا يشبهنى إلى هذا الحدّ .

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشرة والنصف ، عندما رفع (أدهم صبرى) الحائل الزجاجى للنافذة ، وخرج منها فى صمت وهدوء ، ليتعلّق بالحاجز العلوى لها ، ويقف بقدميه على الإفريز السفلىّ الضيّق ، وظلّ على

وقفته هذه بضع لحظات ، ثم نقل قدميه فى حذر حتى صار وجهه فى مقابل نافذة (ليفى) ، فألقى نظرة إلى الطريق الضيّق الذى بدا صغيرًا للغاية من هذا الارتفاع ، وراقب الجنديّين اللذين يسيران جيئة وذهابًا فى حركة منتظمة ، ثم عاد ببصره يقيس المسافة التى تفصله عن إفريز نافذة (ليفى) ، وغمغم فى لهجة أقرب إلى السخرية :

— أربعة أمتار على ارتفاع ثلاثة وثلاثين مترًا ، وجنديّان متأهّبان لإطلاق النار عند أول شعور بالخطر .. يا لها من مهمة هذه التى أسندتها إلىّ المخابرات !!

ولكن يبدو أن عبارته لم تكن تعنى أكثر من السخرية ، إذ قفز فجأة فى جرأة وخفّة مذهلتين ، قاطعًا الأمتار الأربعة فى الهواء كنسر ضخم ، وخُيّل إليه لجزء من الثانية أنه سيهوى فى الفضاء الواقع بين البنايتين ، إلّا أن كفّيه تعلقتا فى إفريز نافذة (ليفى) فى اللحظة الأخيرة ، وتشبّثت به أصابعه كالفولاذ ، على حين ثَنى ركبتيه ، واستند بهما فى خفّة إلى حائط المبنى ، حتى لا تحدث فعلته صوتًا يُنبئ عن وجوده .

شعر (أدهم) بقلبه ينبض في قوة ، بعدما بذل مجهودًا خرافيًّا ، وشعر بالخدر يسرى في ذراعيه ، ولكنه أجبر عضلاته على الانقباض ، ورفع جسده ليجلس فوق إفريز نافذة (ليفى) ، ثم غمغم في صوت شديد الخفوت :

ــ الله وحده يعلم ما إذا كان نجاحك في هذه الخطوة أفضل أم أسوأ من الاستمرار يا (أدهم صبرى) .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى نهض في خفّة ليقف فوق الإفريز ، وألقى نظرة على الجنديَّين ليتأكد من عدم انتباههما لما حدث ، ثم تطلَّع إلى غرفة (ليفى) في حذر ، وابتسم حينما رآه يغطّ في نومه ، فأخرج من حقيبته الصغيرة أنبوبًا رفيعًا ألصقه بزجاج النافذة وأداره في رفق ، فصدر من تلك الحركة صوت ضئيل جعله يتوقَّف لحظة ، حتى تأكَّد من أن الصوت لم يوقظ (ليفى) ، ثم عاود الحركة ، حتى صنع ثقبًا صغيرًا في زجاج النافذة ، ولم يلبث أن أدلى من خلاله خيطًا من النايلون ، ينتهى بخُطَّاف صغير من خُطافات صيد الأسماك ، وحرّكه في رفق حتى علق في

مزلاج النافذة ، فجذبه في هدوء ، وهو يقول لنفسه متهكِّمًا :

ــ مرحى يا (أدهم) !! لن يكون من الصعوبة تحوُّلك إلى اللصوصية ، حينما تضع الحرب أوزارها ..

وفى هدوء وحذر شديدين ، فتح (أدهم) النافذة الزجاجية ، ثم قفز إلى الداخل في رشاقة ، وساعده حذاؤه الكاوتشوكى على ألَّا يصدر صوتًا ، واستدار في هدوء يغلق النافذة ، حتى لا يوقظ البرد خصمه .. ولم يكد ينتهى من ذلك حتى أخرج من حقيبتــه الصغيرة زجاجــة من الكلوروفورم المخدِّر ، وضع بضع قطراتٍ منها فوق منديل صغير ، ثم استدار نحو (ليفى) النائم .

أتت استدارة (أدهم) حادَّة ، حتى أنه فوجئ بقدمه تتعثَّر في طرف السَّجادة الصغيرة ، التى تتوسَّط الحجرة ، فاختلَّ توازنه ، ولمَّا حاول استعادته ، ارتطم بمنضدة صغيرة في صوت مزعج مفاجئ ..

وفجأة .. فتح (ليفى باروخ) عينيه منزعجًا ، وقفز

من فراشه منتزعًا مسدسًا ضخما فى أسفل وسادته ، وهو يصيح مذعورًا :

ــ من هنا ؟ -

وبحركة خاطفة امتدت يده إلى زرّ الإضاءة ، وغمر الضوء الغرفة ، واتسعت عينا (ليفى) ذعرًا ودهشة ، حينما وقع بصره على (أدهم صبرى) ، الذى تحوّلت ملامحه بفضل موهبته الرائعة فى التنكُّر إلى صورة طبق الأصل منه ، وسقطت فكّ (ليفى) السفلى ، وهو يغمغم فى ذهول :

ــ ماهذا بحقّ الشيطان ؟

ثم تشنَّجت يده الممسكة بالمسدس ، وهو يصوِّبه إلى رأس (أدهم) صائحًا :

ــ ماذا تعنى هذه الخُطَّة الشيطانية ؟ أخبرنى قبل أن أطلق النار على رأسك .

* * *



وفى هدوء وحذر شديدين ، فتح (أدهم) النافذة الزجاجية ، ثم قفز إلى الداخل فى رشاقة ..

٥ ــ الشبيهان ..

وقف (ليفى) يحدّق فى وجه (أدهم) مذهولاً ، على حين عقد هذا الأخير ساعديه أمام صدره ، وابتسم فى سخرية ، قائلاً بعبرية سليمة للغاية :

ــ ألَمْ تعرفنى يا (ليفى) ؟.. أنا توءمك السفلى .

ازدادت الدهشة فى وجه (ليفى) ، وهو يقول :

ــ توءمى ماذا ؟

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

ــ ألَمْ تسمع عن ذلك من قبل ؟ أنا قرينك من عالم الجن ، ولقد أتيت لاصطحابك إلى الجحيم ، وهذا مناسب تمامًا لأفعالك .

غمغم (ليفى) فى ذهول :

ــ الجحيم ؟!!

ثم تحوّلت لهجته فجأة إلى الغضب ، وهو يردف :

ــ أيّة خدعة سخيفة هذه ؟ كيف دخلت إلى هنا ؟

وقبل أن ينطق (أدهم) بعبارة أخرى ساخرة ، ارتفع صوت دقّات قلقة على باب حجرة (ليفى) ، وسمع الاثنان صوتًا أجش يقول :

ــ أنا (شاءُول) يا سيّد (ليفى) .. هل أنت بخير ؟ هل حدث ما يسيء ؟

همَّ (ليفى) بإجابة حارسه الخاص ، ولكن الكلمات احتبست فى حلقه ، حينما قال (أدهم) فى صوت مرتفع يشبه صوته تمامًا ، وبنفس أسلوبه :

ــ لا عليك يا (شاءُول) .. إنه مجرد كابوس سخيف .

ولم يكد (ليفى) يفتح فمه ليكذب ذلك ، حتى خُيّل إليه أن (أدهم) قد اختفى فجأة ، ثم تنبَّه إلى أنه قفز يسارًا ، فحاول الاستدارة لمواجهته ، ولكن معصمه تلقّى ركلة قوية ، أطاحت بمسدسه إلى ما فوق الفراش ، وحينما حاول أن يصرخ مستنجدًا بحارسه ، كتم (أدهم) صيحته

بلكمة ساحقة ، تحطَّمت لها أسنان (ليفى) ، وشعر بالأرض تميد به ، ثم أظلمت الدنيا تمامًا أمامه ، عندما عاجله (أدهم) بلكمة أخرى هشَّمت أنفه ، وألقت به فى غيبوبة عميقة .

عاد (شاءُول) يدق باب الغرفة ، صائحًا فى قلق :

ـــ افتح الباب يا سيِّدى .. إننى أسمع صوت شجار .

صاح (أدهم) مقلِّدًا صوت (ليفى) ، وهو يجذب هذا الأخير إلى أسفل الفراش :

ـــ لقد ارتطمت بالمائدة يا (شاءُول) ، عُدْ أنت إلى فراشك .

قطَّب (شاءُول) حاجبيه ، وشعر بالشك يجُوب خلاياه ، فعاد يدقّ الباب فى عناد ، وهو يقول فى إصرار :

ـــ لا بدَّ لى من تفقُّد الحجرة يا سيِّدى .. معذرة .. ولكنها إجراءات الأمن .

وفى هدوء فتح (أدهم) الباب ، بعد أن ارتدى منامة (ليفى) ، وقال فى خشونة :

ـــ كيف تتحدَّث بهذه اللهجة ؟.. هل جُننْتَ يا (شاءُول) ؟

اطمأنَّ قلب (شاءُول) حينما وقع بصره على (أدهم) ، المتنكر فى هيئة (ليفى) ، وقال فى لهجة تحمل الاعتذار :

ـــ عفوًا يا سيِّدى .. لقد خشيت أن ....

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

ـــ إذهب إلى فراشك يا (شاءُول) ، أنا قادر على حماية نفسى .

أطاع (شاءُول) الأمر فى استسلام ، على حين عاد (أدهم) إلى الغرفة ، وأغلق بابها خلفه فى إحكام ، ثم أخرج (ليفى) ، وأحكم قيده جيِّدًا ، وكمَّم فمه فى إحكـام ، وحمله إلى صِوَان ملابسه الضخـم ، فألقـاه داخله ، وقال وهو يبتسم فى سخرية :

ـــ فلتبقَ هنا أيها الوغد ، وعليك أن تحتمل البقاء دون طعام حتى مغيب شمس الغد .. حينئذ أكون انتهيت من مهمتى بإذن الله .

* * *

رفع الحارس الإسرائيلى بندقيته تحية واحترامًا ، عندما عبر (أدهم) بوابة وزارة الدفاع على هيئة (ليفى باروخ) ، وبلغ من دقة تنكّره أن أحدًا لم يلتفت إليه إلّا بالتحية طوال مسيرته من البوّابة إلى مكتب (ليفى) ، حيث خلع معطفه ، وجلس خلف المكتب يزاول الأعمال التى اعتاد (ليفى) أداءها ، وهو يحكّ ما خلف أذنه بين لحظة وأخرى ، كعادة الإسرائيلى الذى ينتحل شخصيته .. ولم تكد تمضى دقائق معدودة ، حتى سمع صوت وزير الدفاع الإسرائيلى يقول من خلال جهاز الاتصال الداخلى :

ـــ هل وصلت يا (ليفى) ؟

ضغط (أدهم) على زرّ الاتصال ، وقال مقلّدًا صوت (ليفى) فى إتقان :

ـــ نعم ياسيّدى ، فى خدمتك .

قال الوزير الإسرائيلى :

ـــ أحضر لى ملف العمليات الخارجية فورًا .. أريد مراجعة بعض الأمور المتعلّقة بالجيش المصرى .

أجابه (أدهم) بالإيجاب ، وتحرّك فى هدوء ، ملتقطا أحد الملفات التى تحمل رقمًا سريًّا ، وفتح باب وزير الدفاع ، ودخل إلى مكتبه فى هدوء ، وهو يؤدّى التحية العسكرية ..

رفع وزير الدفاع الإسرائيلى رأسه ، وألقى نظرة عاديّة على (أدهم) ، ثم تناول منه الملف وهو يقول :

ـــ هل وصلت تقارير (الموساد) عن الجبهة المصرية ؟

حكّ (أدهم) ما خلف أذنه ، وهو يقول :

ـــ ليس بعدُ ياسيّدى .

قال وزير الدفاع ، دون أن يرفع رأسه إليه :

ـــ أريدها على مكتبى فور وصولها ، فالمصريون يتحرّكون تحرُّكات مريبة هذه الأيام .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة لم يلمحها وزير الدفاع ، ثم قال :

ـــ دعْنا من تحرُّكاتهم ياسيّدى ، إنهم لن يجرءوا على محاربتنا مطلقًا .



قال وزير الدفاع دون أن يرفع رأسه إليه :
ـ أريدها على مكتبى فور وصولها ..

أشاح وزير الدفاع الإسرائيلى بيده دون أن ينطق بكلمة ، فاستدار (أدهم) ، وتحرَّك مغادرًا الغرفة ، ولكن عينيه المتمرِّستين فحصتا غرفة وزير الدفاع فى سرعة ودقَّة ومهارة ، حتى توقَّفتا أمام خزانة إليكترونية صغيرة فى الركن الشمالى من الغرفة ، وارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، وهو يغلق باب الغرفة خلفه ، ثم أسرع إلى الملفَّات السِّرية المتراصَّة فوق عدة رفوف أنيقة فى مكتب (ليفى) ، وانتقى أحدها ، وفتحه ، وأخذ يقرأ ما فيه بسرعة واهتمام ، حتى سمع صوتًا من خلفه يقول :

ـ كيف حالك يا (ليفى) ؟ هل وصل الجنرال ؟

التقى حاجبا (أدهم) حينما سمع صوت المتحدِّث ، وميَّزه ، والتفت فى هدوء يتأمَّل وجهه .. كان الواقف أمامه هو (شيمون إليعازر) ، ألمع ضباط جهاز المخابرات الإسرائيلى .

* * *



٦ ــ لقاء الذئاب ..

كان هذا هو الاختبار الحقيقى لبراعة (أدهم صبرى) ، وقدرته على تقمُّص شخصية (ليفى باروخ) ، والتحكُّم فى هدوء أعصابه ، حينما يواجه أبرع رجال المخابرات الإسرائيلية ، والرجل الذى حاربه شخصيًّا منذ ما يزيد قليلًا على العام(*) ، والحق يقال إن أعصاب (أدهم صبرى) كانت فولاذية صلبة فى هذه اللحظة ، إذ بدت ابتسامته طبيعيّة مألوفة وهو يحكّ ما خلف أذنه قائلًا :

ــ مرحبًا ياسيِّدى الجنرال (شيمون) ، إن السيِّد وزير الدفاع فى مكتبه منذ الصباح الباكر .

سأله (شيمون) فى ودٍّ ، وهو يتّجه إلى مكتب وزير الدفاع الإسرائيلى :

ــ كيف حال جرحك يا (ليفى) ؟.. أما زال يؤلمك ؟

(*) راجع قصة (الخطوة الأولى) .. المغامرة رقم (٣١) .

قطّب (أدهم) حاجبيه ، وتردّد لحظة ، متسائلًا فى قرارة نفسه عن أمر هذا الجرح الذى لم يرد فى تدريباته ، ثم قدّر أنه شىء بسيط ، بدليل عدم اهتمام المخابرات المصريّة بذكره ؛ مما دفعه إلى أن يقول فى لهجة ظاهرة البساطة :

ــ لقد التأم ياسيّدى،إن الأساليب العلاجية الطبّية تتقدّم فى سرعة .

كان (شيمون) قد مدّ يده ليفتح باب غرفة الوزير ، ولكنها تسمّرت لحظة ، والتقى فيها حاجباه فى دهشة شديدة ، إلّا أنه برغم ذلك قال فى هدوء :

ــ هكذا !؟ يسعدنى شفاؤك يا (ليفى) .

شعرت غريزة (أدهم) بالخطر ، دون أن يدرى سبب ذلك ، وتعمّق داخله هذا الشعور ، حينما أعاد (شيمون) يده إلى جانبه ، بدلًا من دخول غرفة وزير الدفاع ، وتوقّف لحظة صامتًا وهو يولى ظهره شطر (أدهم) ، ثم التفت إليه وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة قميئة ، وقال :

ـ ما رأيك أن نتناول كوبًا من البيرة المثلجة ، قبل لقائى مع وزير الدفاع ، يا عزيزى (ليڤى) ؟

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا فى بطء ، وقال :

ـــ شكرًا يا سيِّدى ، ولكنك تعلم عدم ميلى لتناول الخمور ، وخصوصًا بسبب التهاب الكُلَى المزمن ، الذى أصبت به منذ سنوات .

عقد (شيمون) حاجبيه وهو يتأمَّل (أدهم) بنظرة متسائلة فاحصة ، ثم عاد يبتسم قائلًا :

ـــ فلنجعلها فنجانًا من القهوة إذن .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـــ شكرًا يا سيِّدى .. ولكننى أعانى بعض الحموضة هذا الصباح .

ظهرت الصرامة فى ملامح (شيمون) ، وهو يقول :

ـــ حسنًا يا (ليڤى) ، سنؤجل ذلك لما بعد .

ثم استدار فى هدوء ، ودخل إلى غرفة وزير الدفاع ، وأغلق الباب خلفه فى قوة .

* * *

نهض وزير الدفاع الإسرائيلى لمصافحة (شيمون) ، الذى بدا التفكير العميق على وجهه ، وهو يبادره قائلًا :

ـــ هل رأيت (ليڤى) هذا الصباح ؟

نظر إليه وزير الدفاع فى دهشة ، وارتفع حاجبه ، على حين تقلَّصت العصابة السوداء التى تغطِّى عينه اليسرى وهو يسأله :

ـــ (ليڤى) ؟!

أجابه (شيمون) فى عجلة :

ـــ نعم ، (ليڤى باروخ) ، سكرتيرك الأول .. هل رأيته هذا الصباح ؟

ابتسم وزير الدفاع ابتسامة تعبِّر عن حَيْرته ودهشته ، وهو يقول :

ـــ بالطبع ، ألَمْ تجده فى مكتبه ؟

مطَّ (شيمون) شفتيه ، وقال :

ـــ لقد قابلت رجلًا يشبهه تمام الشبه ، ولكنه ليس هو .

صاح وزير الدفاع الإسرائيلى فى دهشة :

— ليس ماذا ؟!

ثم قهقه ضاحكًا ، وهو يردف :

— هل عدت إلى تناول الخمر فى الصباح الباكر يا (شيمون) ؟

قال (شيمون) فى عصبية :

— هذا الرجل ليس (ليڤى) ، وأنت تستمع قول خبير مخابرات لايشق له غبار .

توقف وزير الدفاع الإسرائيلى عن الضحك ، وقال فى ضيق :

— اسمع يا (شيمون) .. إننى أعمل مع (ليڤى) ، أو على الأصح هو يعمل معى منذ عشرة أعوام تقريبًا ، ولا يمكننى أن أخطئه .

مال (شيمون) إلى الأمام ، واستند براحتيه إلى سطح مكتب الوزير الإسرائيلى ، وقال فى لهجة جادة حازمة :

— هل تذكر تلك الترقية التى نالها (ميناس راحونيل) ؟ لقد أغضبت (ليڤى) كثيرًا ، وأصر على أنه أكثر

استحقاقا لها ، وقال : إن ذلك أصابه بجرح لن يندمل ، وإنه سيؤلمه إلى الأبد .

قال وزير الدفاع فى اهتمام :

— أذكر ذلك جيدًا .

عاد (شيمون) يقول :

— لقد اعتدت مداعبة (ليڤى) — كلما لقيته — بسؤاله عن جرحه وآلامه ، وكان فى كل مرة يجيبنى ضاحكًا بأنه أحق بالترقية .. أمّا هذا الصباح ؛ فحينما سألته تردّد لحظة ، وكأن السؤال كان مفاجئًا ، ثم أجابنى بأنه قد التأم بسبب تقدّم وسائل الطّب الحديثة .

ظهر الاهتمام على وجه الوزير الإسرائيلى ، وهو يعتمد بذقنه على قبضته مغمغمًا :

— أحقًّا ؟

استمر (شيمون) يتابع حديثه قائلًا :

— وهنا شككت فى الأمر ، فاستدرت إليه ، وسألته إن كان يجب أن يتناول معى كأسًا من البيرة ، ولكنه اعتذر بحجة مرض الكُلى المزمن الذى أصابه منذ سنوات . علمًا

بأننا حتى أمس كنا نتناول معًا كوبًا من البيرة كل صباح .

نهض وزير الدفاع الإسرائيلى فى حركة لا إرادية ، وهو يهتف :

ـــ يا للشيطان !! سآمر بإلقاء القبض عليه ، و ....

قاطعه (شيمون) قائلًا :

ـــ كلَّا يا سيِّدى .. معذرة .. ولكننى أحبُّ التأكُّد مما نفعل أولًا ، ثم إننى أريد معرفة ماذا يسعى إليه هذا الرجل .

صمت وزير الدفاع الإسرائيلى لحظة ، ثم قال :

ـــ وهل نتركه يتمادى ؟

ابتسم (شيمون) ابتسامة ماكرة ، وقال :

ـــ اطمئن يا سيِّدى وزير الدفاع ، سأجبر هذا الرجل على كشف أوراقه ، ثم نضع رقبته تحت المقصلة .. إننى أهوى ذلك يا سيِّدى .

* * *

٧ ـــ أجراس الخطر ..

جلس (أدهم صبرى) على مكتب (ليفى باروخ) عاقدًا حاجبيه ، يفكِّر فى عمق ؛ إذ أثار تصرُّف (شيمون) ريبته ، وشكَّه ، حتى أنه أخذ يراجع كل تصرُّف قام به منذ ولُوجه مقر وزارة الدفاع الإسرائيلية ، وكل كلمة نطق بها حتى توقَّف عند الحوار الذى دار بينه وبين (شيمون) ، وأخذ يراجعه فى اهتمام ، وهدوء ، ثم لم تلبث عيناه أن برقتا ببريق الفهم ، وغمغم فى سخرية :

ـــ إذن فقد كشفت أمرى يا (شيمون) .. إنك تضطرُّنى لمحاربتك بوجه مكشوف .

ثم نهض فورًا ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة مستهترة ، ودقَّ باب مكتب الوزير الإسرائيلى ، ثم لم ينتظر ردًّا ، ودفع الباب ، ودخل ليقف أمام (شيمون) ووزيره .

رفع الاثنان رأسيهما يتأملانه فى دهشة ، ثم سأله (شيمون) فى خشونة :

ـــ ماذا تريد يا (ليفى) ؟ كيف تدخل إلى المكتب دون أن نأذن لك ؟

وفجأة .. وفى هدوء عجيب ، رفع (أدهم) فوّهة مسدّسه نحو الرجلين ، وقال فى لهجة تخالف لهجة (ليفى) ، وصوته :

ـــ معذرة أيها السادة ، ولكننى لا أجد مبرّرًا لاستمرار اللّعبة .

ظهر الغضب على وجه الوزير الإسرائيلى ، وصاح (شيمون) فى حنق :

ـــ لقد كشفت أمرك منذ البداية أيها الجاسوس .. ماذا فعلت برجلنا (ليفى) ؟

قال (أدهم) فى لهجة ساخرة :

ـــ أهنئك أيها الوغد ، هذا يثبت ذكاءك بالفعل ، ولكننى أعتقد أنه من الأفضل تأجيل الحديث فى هذا

الأمر .. أما الآن فهل تتكرّم بتقييد السيّد وزير الدفاع ؟

فتح وزير الدفاع الإسرائيلى عينه الواحدة عن آخرها ، وهو يغمغم :

ـــ ماذا ؟

أجابه (أدهم) فى لهجة حازمة ، ترتجف لها أشد القلوب شجاعة :

ـــ سينفّذ كلاكما الأمر فورًا ، ولتحذرا ، فأنا لا أتميّز بالصبر .

* * *

احتقن وجه وزير الدفاع الإسرائيلى بدماء الغضب ، حينما انتهى (شيمون) من تكبيل يديه . وتكميم فمه ، على حين قال هذا الأخير فى غضب وحنق ، وهو يواجه (أدهم) :

ـــ هذا التصرُّف الأحمق ، يؤكّد عدم انتمائك لجهة منظمة أيها الرجل .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ وقولك الأحمق هــذا يؤكــد ســخافتك أيهــا الوغد .

احتقن وجه (شيمون) غضبًا ، وصاح :

ــ إنك لن تخرج من هنا حيًا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

ــ ياله من موقف عسير ! إننى أرتجف خوفًا .

قال(شيمون) فى غضب عارم :

ــ أقسم بحائط المبكى ، أن أجعلك تدفــع ثمن سخريتك هذه .

ابتسم (أدهم) فى تهكُّم ، واقترب منه قائلا :

ــ سينهار حائط المبكى نتيجة لقسمك هذا ، أو أنك ستقضى ما بقى لك من العمر تبكى إلى جواره .. والآن هل تسمح لى بتقييدك أيها الوغد ؟

وفجأة .. طوَّح (شيمون) بيده فى قوة ، وأطاح بمسدس (أدهم) ، ثم اتخذ وضعًا قتاليًا ، وهتف فى شراسة :



وفجأة .. طوَّح (شيمون) ، بيده فى قوة ، وأطاح بمسدس (أدهم) ، ثم اتخذ وضعًا قتاليًا ..

— لقد خسرت أيها الشيطان .. سأعلّمك الآن كيف يقاتل المحترفون .

* * *

تألّق بريق الفوز فى عين وزير الدفاع ، حينما رأى تلميذه (شيمون) يواجه (أدهم صبرى) فى قتال بالأيدى العارية ؛ إذ كان (شيمون) قد تلقّى تدريباته القتالية على يديه .. وكان وزير الدفاع الإسرائيلى يثق فى قدرات تلميذه إلى أقصى درجة ؛ لذا فبمجرّد أن أطاح (شيمون) بمسدس (أدهم) ، اعتبر وزير الدفاع الأمر منتهيًا ..

بدأ (شيمون) الضربة الأولى ، موجّهًا لكمة قوية إلى فكّ (أدهم) ، وهو يقول :

— لقد اعتدت بدء الضربة الأولى أيها الشيطان .

تلقّى (أدهم) الضربة على ساعده فى بساطة تثير الدهشة ، ثم قال ساخرًا :

— ولكنك تنهزم من الضربة الثانية أيها الوغد .

وفى رشاقة مذهلة ، انحنى (أدهم) يسارًا ، وغاص

بجسده إلى أسفل فى مرونة ، ثم انتصب كالشيطان موجهًا لكمة ساحقة إلى فكّ (شيمون) ، ألقت به عدة أمتار إلى الوراء ، فاصطدم بحاجز مكتب وزير الدفاع الإسرائيلى ، ثم اندفع إلى الأمام ، حيث تلقاه (أدهم) بلكمة غاصت فى معدته ، تأوّه لها (شيمون) فى ألم ودهشة ، ثم لم يلبث أن أصدر حشرجة مكتومة .. حينما هوت قبضة (أدهم) على فكّه كالقنبلة ، أعقبتها أخرى فى أنفه ، ثم ثالثة بين عينيه ، وسقط رجل المخابرات الإسرائيلى فاقد الوعى .

شحب وجه الوزير الإسرائيلى ، حينما رأى تلميذه يسقط كجوال فارغ ، وسمع (أدهم) يقول فى سخرية :

— هل علمت الآن كيف يقاتل المحترفون أيها الوغد ؟

وفى هدوء .. التفتَ (أدهم) إلى الخزانة التى تضم أهم أسرار الجيش الإسرائيلى ، ثم سار نحوها فى خطوات متّزنة على مرأى من الوزير ، الذى حاول جاهدًا التخلّص من قيوده، ولكن عبثًا .. وامتدت أصابع (أدهم) المدرّبة تعالج قفل الخزانة الإليكترونى ، متجاهلاً الغمغمة الملتاعة التى تصدر من فم الوزير الإسرائيلى المكمّم ..

وما هى إلا لحظات ، حتى استجابت الخزانة للأصابع المدرَّبة ، وخضعت لها فى خنوع ، وفتح (أدهم) باب الخزانة ، ثم تناول الأوراق المكدَّسة داخلها ، وأخذ يفحصها فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن تناول منها ورقة دسَّها فى جيبه ، والتفت إلى الوزير الإسرائيلى ، قائلًا فى سخرية :

ـــ وداعًا أيها الوزير ، هاقد حصلت على ما أبتغى .

وفى هدوء غادر مكتب الوزير ، وأغلق الباب خلفه ، ثم تناول معطفه ، وارتداه وهو يغادر مكتب (ليفى) إلى الخارج ، ويلقى التحية على من حوله كعادة هذا الأخير ، حتى وصل إلى الباب الخارجى ، وسأله حارس البوابة فى ودّ :

ـــ هل تنصرف اليوم مبكرًا يا سيِّد (ليفى) ؟

ابتسم (أدهم) قائلًا :

ـــ نعم يا صديقى ، فأنا أشعر ببعض التعب .

ثم أردف وهو يبتسم ابتسامة غامضة :

ـــ وزير الدفاع يأمر بعدم دخول أى زائر إليه حتى

الثانية .. لا تنس ذلك ، حتى الثانية تمامًا ، وإلَّا كانت النتائج خطيرة .

* * *

فتح (شيمون) عينيه ، وتأوَّه فى ألم ، ثم استعاد ذهنه صفاءه دفعة واحدة ، فقفز من مكانه صائحًا :

ـــ ربَّاه !! لقد أفلت الشيطان !!

صكَّ أذنيه صوت غمغمة وزير الدفاع، فهرع إليه يفكّ قيوده ، ولم يكد يرفع الكمامة عن فمه ، حتى صاح الوزير فى غضب :

ـــ هل جُننتَ حتى تقيِّدنى بهذه القوة ؟ إننى أحاول عبثًا التخلُّص من قيودى منذ ساعة كاملة .

اتسعت عينا (شيمون) عن آخرهما ، وهو يصيح :

ـــ ساعة كاملة ؟! هل فقدت وعيى طوال هذا الوقت ؟ أين ذهب الجاسوس ؟

أشار وزير الدفاع فى حنق إلى الخزانة المفتوحة ، وهو يقول :

— لقد حصل على بغيته ، وانصرف فى هدوء ، كما لو كان يغادر منزله الخاص .
ثم صرخ فى غضب :
— إنها فضيحة .. لابدّ أن نحتفظ بهذا الأمر طىَّ السرّية والكتمان مدى الحياة .
تحرّك (شيمون) فى خطوات واسعة نحو الخزانة المفتوحة ، وتناول الأوراق ، وأخذ يفحصها فى سرعة ودقة ثم غمغم :
— عجبًا .. لقد أخذ ورقة واحدة .. ولكن ماذا يريد ؟
قطع عبارته ، حينما وصل إليه صوت وزير الدفاع الإسرائيلى وهو يتحدث فى الهاتف الداخلى ، قائلًا فى غضب :
— هل انصرف (ليفى) ؟ (ليفى باروخ) ؟
ولم يكد يتلقّى إجابة سؤاله ، حتى احتقن وجهه غضبًا ، وأغلق الخط صائحًا :

— هذا الشيطان انصرف على الفور ، وطلب من الحراس عدم إزعاجنا ، أو السماح بدخول الزائرين إلينا قبل الثانية .
نظر (شيمون) فى ساعته ، ثم صاح :
— يا إلهى !! إنها الواحدة .. أمامنا ساعة كاملة ، قبل الموعد الذى يتوقّع تحرّكنا فيه .
ثم اختطف سمّاعة الهاتف ، وصاح :
— صلنى بمنزل (ليفى باروخ) على وجه السُّرعة .
ورفع رأسه إلى وزير الدفاع ، صائحًا :
— أراهن أنه سيعود إلى منزل (ليفى) ، وسأطلب من (شاءول) إطلاق النار عليه فورًا .

* * *

٨ ـ الهارب ..

توقفت سيارة سوداء فارهة ، أمام مدخل البناية التى يقيم فى أحدى شققها (ليفى باروخ) ، وقفز منها رجل المخابرات الإسرائيلى (شيمون) ، بطريقة تشف عن العجلة ، ولم يلبث وجهه أن تجهّم بشدة حينما وقع بصره على (شاءول) ، فانقض عليه ، وجذبه من (ياقة) معطفه فى عنف صائحًا :

ـ من سمح لك بالهبوط إلى هنا ؟ ألَمْ تكلَّف حماية (ليفى باروخ) شخصيًّا ؟

صاح (شاءول) فى ذعر ودهشة :

ـ ولكن السيِّد (ليفى) نفسه هو الذى طلب منّى الهبوط يا سيِّدى .. ولقد أمرنى أن أصحبك إلى منزله فى الثانية .

غمغم (شيمون) فى حنق :

ـ هذا الوغد .

ثم أسرع يرتقى درجات السُّلَّم صائحًا :

ـ اتبعنى يا (شاءول) ، واطلب من الجنود حراسة المدخل ، وباب المصعد والقبض على (ليفى) إذا ما حاول استخدام أحدهما للهرب .

اتسعت عينا (شاءول) ذهولًا ، وهو يغمغم :

ـ الهرب ؟! ماذا يحدث بحقِّ الشيطان ؟

صعد (شيمون) درجات السُّلَّم فى سرعة وهو يلهث من التعب والانفعال ، حتى وصل إلى منزل (ليفى باروخ) ، فدفع بابه فى قوة ، واندفع إلى الداخل ، وهو يصوِّب مسدسه صائحًا :

ـ استسلم أيها الجاسوس ، أو ....

ولكنه بتر عبارته فجأة ، وهو يحدِّق فى الجسد المسجَّى أمامه فى منتصف بهو المنزل ، وعلى مقربة منه سقط منديل تفوح منه رائحة الكلوروفورم ..

أسرع (شيمون) إلى الرجل فاقد الوعى ، ورفعه قليلًا عن الأرض ، ثم صاح :

ـــ يا للشيطان !! إنه (ليڤى) .. ماذا حدث ؟

فتح (ليڤى) عينيه فى صعوبة ، وقال فى صوت متحشرج ، وهو يشير إلى باب المنزل :

ـــ أسرعوا .. سيستخدم السطح للقفز إلى المبنى المجاور .

صرخ (شيمون) :

ـــ أسرع يا (شاءول) .. ألق القبض على كل من يحاول الهرب عن طريق السطح ، ومُرْ رجالك بمحاصرة المبنى المجاور ، ومنع أى إنسان من مغادرته .

ثم عاد يُولى اهتمامه شطر (ليڤى) ، وربَّت على وجنته متسائلًا :

ـــ ماذا حدث يا (ليڤى) ؟ ما الذى فعله بك هذا الجاسوس ؟

تعثَّر (ليڤى) وهو يحاول النهوض ، معتمدًا على ساعد (شيمون) ، ثم ألقى نفسه فوق أقرب المقاعد إليه ، وازدرد لعابه فى صعوبة وهو يقول :

ـــ إنه شيطان ، لست أدرى كيف يشبهنى إلى هذا الحدّ ، حتى صوته يـ ....

قاطعه (شيمون) فى ضجر وحزم :

ـــ ماذا حدث يا (ليڤى) ؟

صمت (ليڤى) لحظات ، ثم قال :

ـــ لقد هاجمنى أمس ، بعد أن أويت إلى فراشى ، ولقد قاومته ، ولكنه أفقدنى وعيى ، وحينما استيقظت وجدت نفسى مقيدًا ، ومكمَّمًا داخل صوان ملابسى ، فأخذت أدُقّه من الداخل بقدمى ، ولكن أحدًا لم يسمعنى حتى عاد فى الثانية عشرة تقريبًا،فحلَّ وثاقى ، ورفع كمّامتى ، ثم هدّدنى بالقتل إذا ما حاولت الاستنجاد بأحد ، ولكننى غافلته وانطلقت هاربًا ، ولحق بى فى الرّدهة ، وفوجئت به يضع منديلًا تفوح منه رائحة الكلوروفورم على فمى وأنفى .. حاولت كتم أنفاسى ، ولكننى فقدت وعيى فى النهاية ، وهأنذا أستيقظ بين يديك يا سيِّدى .

ظهر الغضب على وجه (شيمون) ، وهو يتحرك فى عصبيّة قائلًا :

ـــ لا ريب أنه نجح فى الفرار مستغلًا هذا الوقت الطويل .. ياللشيطان !!

وصمت لحظة ، ثم التفت إلى (ليفى) قائلًا :

ـــ أسرع بارتداء ملابسك يا (ليفى) .. ستصحبنى إلى وزارة الدفاع .. فأنا أريد معرفة الكثير عن هذا الأمر .

* * *

ضرب وزير الدفاع الإسرائيلى بقبضته على سطح مكتبه فى غضب ، وصاح :

ـــ لَمْ تعُد الوثيقة المسروقة تثير اهتمامى يا (شيمون) .. إن ما يثير فى نفسى الحنق ، هو أنه نجح فى الوصول إلى خزانتى الخاصة .. إننى أشعر بالعار .

قال (شيمون) فى هدوء :

ـــ لقد تكتَّمنا الأمر تمامًا ياجنرال ، حتى مجلس الوزراء والكنيست لن يعلموا به ، فنحن نعلم أن ذلك قد يجبر سيادتك على الاستقالة .

صمت وزير الدفاع لحظة ، ثم قال فى غضب :

ـــ لماذا تصرُّ على مناقشة أمر الوثيقة المسروقة إذن ؟

تدخَّل (ليفى) قائلًا :

ـــ معذرة ياسيِّدى الوزير ، ولكن ما يقلق الجنرال (شيمون) ، هو لماذا اختار هذا الجاسوس الشيطان هذه الوثيقة بالذات ؟

ابتسم (شيمون) ابتسامة عجيبة ، وهو يقول :

ـــ هذا ما أقصده بالفعل يا سيِّدى الوزير ، فلماذا يخاطر رجل باقتحام مكتب وزير الدفاع الإسرائيلى بهذه الصورة السافرة ، لمجرَّد الحصول على أسماء قادة منظمة التحرير الفلسطينية فى أوربا ، برغم أن هذا يعدّ معروفًا تقريبًا للجميع ؟

صمت وزير الدفاع الإسرائيلى مفكرًا ، على حين قال (ليفى) :

ـــ ربما ظن أننا لانملك وثيقة أخرى تحوى الأسماء ، وهو يحاول بسرقتها حرماننا معرفتها .

غمغم الوزير :

ـــ جهاز مخابراتنا يمكنه جمع هذه الأسماء فى أقل من أربع وعشرين ساعة .

قال (شيمون) مفكرًا :

ـــ ربما هناك عمل خطير سيتم فى هذه الساعات ، يا سيِّدى الوزير :

تنحنح (ليڤى) ، وقال فى تردد :

ـــ هل يسمح سيِّدى الوزير بتنبيهه إلى خطإٍ آخر ؟

قال الوزير فى غضب :

ـــ أى خطإٍ هذا يا (ليڤى) ؟

ظهر التردُّد على وجه (ليڤى) ، حتى أن (شيمون) صاح به :

ـــ تكلَّم يا فتى .. قل ما تريد .

استمر تردُّد (ليڤى) لحظة ، ثم قال :

ـــ أعْنى أننا نحتفظ بوثائق فردية هنا ، مما يعرِّضنا إلى بعض الخطإِ لو نجح أحدهم فى إعدامها ، فلماذا لا تحتفظ المخابرات بنسخة من كل ما لدينا ؟

ساد الصمت التام بعد تعليق (ليڤى) ، ثم غمغم (شيمون) :

ـــ إنها فكرة رائعة ، ولقد اقترحتها على سيادة الوزير منذ زمن .

عاد الصمت يخيِّم على جوِّ الغرفة ، إلى أن قال وزير الدفاع الإسرائيلى ، وكأنه يحدث نفسه :

ـــ ولِمَ لا ؟

ثم التفت إلى (ليڤى) ، وقال :

ـــ قُمْ بتصوير كل الوثائق المحفوظة فى خزانتى الخاصة ، مستخدمًا آلة التصوير التى فى مكتبى هنا ، فلست أثق فى خروج وثيقة واحدة خارج مكتبى .

ثم نهض وفتح خزانته الخاصة ، وفحص الأوراق فى عناية ، ثم ناولها إلى (ليڤى) ، وأشار إلى آلة التصوير فى ركن الحجرة ، فنهض (ليڤى) ، وبدأ يصنع نسخًا ثانية من الوثائق ، على حين قال وزير الدفاع وهو يحادث (شيمون) :

ـــ ألَمْ تعثر بعد على أثر لذلك الجاسوس ؟

هزَّ (شيمون) رأسه أسفًا ، وقال :

ـــ كلّا للأسف يا سيّدى الوزير .. لقد كشفنا أنه استأجر منزلًا مجاورًا لبناية (ليڤى) ، ولقد وجدنا هذا المسكن فارغًا ، ووجدنا به جواز سفر يحمل اسمًا إنجليزيًّا ، ولكن الصورة المثبّتة به لا تشبه (ليڤى) .. لا ريب أن هذا الشيطان يجيد التنكّر للغاية .

عضّ وزير الدفاع شفتيه ، دون أن ينبس بكلمة واحدة ، على حين اقترب (ليڤى) ، وأدّى التحيّة العسكرية قائلًا :

ـــ لقد انتهيت من نسخ الوثائق يا سيّدى .

تناول وزير الدفاع الإسرائيلى الوثائق والنسخ ، وقارن بعضها ببعض ، ثم أعاد الوثائق إلى خزانته ، وناول النسخ إلى (شيمون) ، وهو يقول :

ـــ هاك النسخة الثانية من أسرارنا يا (شيمون) ، وحذار أن تفقد ورقة واحدة منها .

تناول (شيمون) النسخ وهو يبتسم ، على حين قال (ليڤى) فى تردُّد :

ـــ هل تسمح لى بالانصراف يا سيّدى الوزير ؟ مازلت أشعر ببعض التعب و ....

قاطعه الوزير قائلًا :

ـــ حسنًا يا (ليڤى) .. عُدْ إلى منزلك ، وكفاك ما أصابك هذه الليلة .

انصرف (ليڤى) فى بطء وهدوء ، على حين التفت (شيمون) إلى وزير الدفاع قائلًا :

ـــ مسكين (ليڤى) .. لقد عانى الكثير على يد هذا الجاسوس الشيطان .

غمغم الوزير فى حنق :

ـــ لقد عانينا أكثر يا (شيمون) ، إننى مازلت أشعر بالعار .

جلس (شيمون) قائلًا :

ـــ ولكننى أشفق على (ليڤى) ، فهو ليس صلب العود مثلنا يا جنرال .. إنه ....

ثم بتر عبارته فجأة ، وقفز من مقعده صائحًا :

ـــ يا للشيطان !!

وقفز متعلقًا بذراع وزير الدفاع ، الذى أصابته الدهشة، حين سمعه يصيح قائلًا :

ـــ لقد خدعنا مرة ثانية يا سيّدى .. لقد خدعنا هذا الشيطان مرتين .

* * *

٩ ـــ شيطان من الشّرق ..

توقّف (قدرى) عن القراءة ، ورفع رأسه ناحية باب غرفته ، حينما تناهى إلى مسامعه صوت طرقات هادئة ، فقال فى صوت خرج على الرغم منه ، أجشّ متلعثمًا :

ـــ ادخل يا من بالباب .

وفى هدوء .. فتح المقدم (حازم) باب المكتب ، ودلف إلى الداخل وهو يقول فى مرح :

ـــ كيف حالك أيها البدين ؟ ماذا تفعل وحدك هنا ؟

رفع (قدرى) يده بملف العملية (خيط اللهب) ، وهو يقول :

ـــ إننى أطالع ملف العملية الثانية لـ (رجل المستحيل) .

ابتسم (حازم) ، وقال وهو يجذب مقعدًا ، ويجلس إلى جوار (قدرى) :

ـــ آه !! عملية أنابيب النابالم .. لقد كان (أدهم) رائعًا حينذاك .. إلى أين وصلت فى قراءتك ؟

أخبره (قدرى) عن النقطة التى توقَّف عندها ، فضحك (حازم) قائلًا :

ـــ لقد كانت خدعة متقنة للغاية تلك التى قام بها (أدهم) يومئذ ، وبرغم أنها لم تكن ضمن الخطة الموضوعة مسبقًا ، إلا أنها كانت ناجحة للغاية ، ولقد أبرزت موهبة (أدهم) وتفوُّقه إلى درجة كبيرة .

هزَّ (قدرى) رأسه المكتظ موافقًا ، ثم عاد يسأل :

ـــ ولكن هناك نقطة تحيِّرنى للغاية ياصديقى ؛ إذ أن هذا التقرير يحوى أحاديث دارت بين وزير الدفاع الإسرائيلى ، ورجل المخابرات الإسرائيلية (شيمون) فى غير وجود (أدهم) .. فكيف تمَّت معرفتها ؟ أم أن الأمر مجرَّد استنتاج محض ؟

ابتسم (حازم) ابتسامة غامضة ، ومال بمقعده إلى الوراء فى صمت ، ثم عاد يعتدل قائلًا :

ـــ هل تعلم مدى التقدُّم الذى وصلت إليه أجهزة التصنُّت فى القرن العشرين يا (قدرى) ؟

نظر إليه (قدرى) فى دهشة ، وهو يحاول استنتاج الجواب من طيَّات السؤال نفسه ، ولكن (حازم) تابع حديثه فورًا قائلًا :

ـــ مع بداية السبعينات ، كان من الممكن دسّ جهاز تصنُّت صغير فى حجم رأس الدبوس ، داخل أى قطعة أثاث على شكل مسمار عادىّ ، مما يجعل كشفه مستحيلًا ، أو على الأقل بالغ الصعوبة .

سأله (قدرى) فى انبهار :

ـــ وهل تمكَّنت مخابراتنا من دسّ جهاز تصنُّت ، فى مكتب وزير الدفاع الإسرائيلى نفسه ؟.. وكيف تمَّ ذلك ؟

سرح (حازم) ببصره لحظات ، وكأنما يسترجع ذكريات قديمة ، ثم قال :

ـــ كان من عيوب وزير الدفاع الإسرائيلى السابق ، ولعه الشديد بالتحف والآثار ، حتى ولو خالف ذلك إجراءات الأمن والسرِّية ، وكان يعشق المكاتب من طراز (لويس السادس عشر) بالذات .. وحينما تولَّى مسئولية

وزارة الدفاع ، وجد من يهمس فى أذنه ، بوجود تاجر تحف شهير يبيع مكتبًا من ذلك الطراز ، بسعر معقول للغاية ، وبالطبع لم يضع وزير الدفاع الفرصة ، وحصل على المكتب ، وزيّن به غرفته دون أن تنتبه أجهزة الأمن الإسرائيلية إلى جهازنا الصغير ، الذى يختفى وسط نقوش المكتب الأنيقة .

انفجر (قدرى) ضاحكًا ، وكأنه استمع إلى دعابة طريفة ، ثم لم يلبث أن توقّف عن الضحك فجأة ، وقال فى تجهُّم مفتعل :

ــ ألَمْ تلحظ أنك تمنعنى من مواصلة القراءة ؟

ضحك (حازم) وهو ينهض قائلاً :

ــ عفوًا يا صديقى .. سأتركك للملفات (رجل المستحيل) القديمة .

ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى عاد (قدرى) يفتح ملف العملية (خيط اللهب) ، وعاود القراءة بنفس الحماس .

* * *

قفز وزير الدفاع الإسرائيلى من مقعده فى ذهول ، وصرخ :

ــ ماذا تعنى بأنه خدعنا للمرة الثانية يا (شيمون) ؟

صاح (شيمون) ، وهو يختطف سمّاعة الهاتف المتصل بأمن المبنى :

ــ هذا الرجل الذى غادرنا ليس (ليڤى باروخ) .. إنه ذلك الجاسوس الشيطانى .. هل تذكر حينما حادثته فى حدَّة ؟ إنه لم يحُكّ ما خلف أذنه ، كعادة (ليڤى) كلما ارتبك .. لقد تصرَّفت أنا كغِرّ ساذج ، فظننت الرجل الذى عثرت عليه فى البهو هو (ليڤى) الحقيقى ، حتى أننى لم أحاول تفتيش باق المنزل .. لا ريب أن هذا الجاسوس قد حصل على صورة لأحد وثائقنا السِّرِّية فى أثناء تصويره لها .. لقد خدعنا يا سيِّدى الوزير .

شحب وجه وزير الدفاع الإسرائيلى ، وانهار فوق مقعده مذهولًا ، على حين صاح (شيمون) من خلال الهاتف ، محدِّثًا مسئول الأمن :

ــ لا تسمح للسيد (ليفي باروخ) بمغادرة المبنى .. ألق القبض عليه فى الحال .

ثم شحب وجهه بدوره ، وهو يصرخ :

ــ ماذا ؟ غادر المبنى بالفعل ، يا لكم من أغبياء !!

وألقى سماعة الهاتف فى حدّة ، وهو يصيح :

ــ لقد هرب الجاسوس .. غادر المبنى فى سيارته ، ومعه صورة لأحد وثائقنا السّرّية ، والأدهى أننا لا نعرف أيها بالضبط .

اختطف وزير الدفاع الإسرائيلي سمّاعة الهاتف صائحًا :

ــ سأطلب مراقبة مداخل (تل أبيب) ، وإلقاء القبض على كل من يشتبه فى أمره .. لن نسمح له بخداعنا هكذا .

ارتدى (شيمون) معطفه على عجل ، ثم توقّف فجأة ، وظهرت على وجهه دلائل التفكير العميق ، وهو يستمع إلى وزير الدفاع يلقى أوامره إلى قوات الحراسة .. ولم يكد هذا الأخير ينتهى ، حتى غمغم (شيمون) فى تفكير :

ــ تُرى .. ماذا أفعل لو كنت أنا الجاسوس الهارب ؟

سأله وزير الدفاع فى حِدّة :

ــ ماذا تعنى يا (شيمون) ؟

عاد (شيمون) يغمغم ، وكأنه يحادث نفسه :

ــ لقد أنهيت مهمّتى بنجاح ، وعثرت على بُغيتى ، ولا أتوقّع كشف أمرى بهذه السرعة .. من الأفضل إذن أن أبادر بمغادرة (إسرائيل) فورًا .. فى هذه الحالة يكون اتجاهى الطبيعى هو مطار (تل أبيب) ، و ....

وبتر عبارته فجأة ، وهو يهرع نحو باب المكتب صائحًا :

ــ سنُوقع به ياسيّدى الوزير .. مُرْ بمراقبة كل المسافرين على الطائرات التى تقلع من هذه اللحظة ، وتفتيشهم بدقة ، حتى لو اقتضى الأمر تفتيش كل منهم ذاتيًا ، وتعطيل كل الطائرات .. أراهنك أننى سأوقع به يا سيّدى .

* * *

انطلقت من فم (أدهم صبرى) ضحكة ساخرة عالية ، وهو يقود سيارته بسرعة عادية ، غير ملفتة للأنظار ، فى الطريق الذى يقوده إلى مطار (تل أبيب) ، وتحسَّس صورة خريطة أنابيبَ النار فى جيبه بفخر ، وهو يقول ساخرًا :

ــ تبًّا للذكاء الإسرائيلى الذى يتشدَّقون به فى كل مكان .. لقد انطلت عليهما لُعبتى ، كما لو كانا فى المرحلة الابتدائية من عالم المخابرات .

وفى هدوء .. أخذ يزيل تنكُّره فى هيئة (ليفى) ، وابتسامته الساخرة لا تفارق وجهه ، حتى اقترب من مطار (تل أبيب) ، فأوقف سيارته على مبعدة من المكان ، وأخرج جواز سفر تحمل صورته وجهه العادىّ ، إلى جوار اسم إيطالىّ غريب .. ومن العجيب أن الجواز كان يحمل تأشيرة دخول إسرائيلية منذ شهر كامل ، وعاد (أدهم) يطالع بيانات الجواز ، ثم قال فى سخرية :

ــ ها قد تحوَّل (ليفى باروخ) إلى (بنيتو سلفانيونى)

فى لمح البصر .. رائعة هى المخابرات المصرية ، إنهم يحسبون حسابًا لكل الاحتمالات .

ثم غادر السيارة فى هدوء ، حاملًا حقيبة سفر أنيقة ، تحمل نفس الاسم الإيطالى العجيب ، وسار فى تؤدَة نحو المطار ، ولكنه لم يلبث أن توقَّف فجأة ، حينما لمح الحراسة المشدَّدة على أبوابه ، وضاقت عيناه وهو يتفرَّس فى أسلوب الحراس الفظ ، فى مراجعة أوراق المسافرين ، فغمغم فى سخرية :

ــ يبدو أن أمرك قد انكشف بأسرع مما كنت تتوقَّع يا (أدهم) .. هذا هو التفسير الوحيد لتلك العصبية ، التى تبدو واضحة فى تعاملات هؤلاء الإسرائيليين .

واتسعت ابتسامته الساخرة وهو يستدير عائدًا ، فى تهكُّم عجيب :

ــ حسنًا أيها الأوغاد ، لِنرَ من أكثر ذكاءً .

ثم أردف وهو يعاود فتح السيارة ، ويلقى بالحقيبة فوق مقعدها الخلفىّ :

ــ حتى ذلك اتخذت له الحيْطة .

* * *

١٠ ــ ملك الدَّهـاء ..

توقَّفت سيارة تحمل أرقام وزارة الدفاع الإسرائيلية فى حِدَّة ، أمام البوابة الرئيسية لمطار (تل أبيب) ، وقفز منها رجل موفور النشاط ، تقدَّم فى سرعة من جنود الحراسة ، وصاح فى لهجة تشفّ عن العجلة :

ــ الجنرال (شيمون إليعازر) من (الموساد) .. هل ألقيتم القبض على الجاسوس الهارب ؟

ارتفعت يد جنود الحراسة بالتحية فى احترام ، على حين قال أكبرهم رتبة :

ــ ليس بعدُ ياسيِّدى ، ولكننا فحصنا أوراق الجميع ، و ....

قاطعه (شيمون) فى لهجة حازمة :

ــ هل وضعت أحد رجالك أمام مكتب الحجز للطائرات المُقلِعة توًّا ؟

ارتبك الجندى وهو يقول :

ــ فى الواقع يا سيِّدى .. لقد ظننت ....

صاح (شيمون) فى وجهه مقاطعًا :

ــ ظننت ؟! .. لا مجال للظنون فى الجيش الإسرائيلى أيها الرجل .. اتبعنى إلى الداخل .

هرْوَل الجندى خلفه وهو يلعن حظّه العاثر ، الذى جعله يقف ذلك الموقف أمام أشرس ضباط المخابرات الإسرائيلية ، على حين توجَّه (شيمون) من فوره إلى مكتب الحجز ، وهو يقول فى عصبية :

ــ احذر هذا الجاسوس ، فهو يجيد التنكُّر بدرجة مذهلة .. إننى لا أستبعد أن يتقمَّص شخصيَّتى أنا .. إنه يجيد العِبْريَّة إلى درجة مذهلة .

غمغم الجندى ، محاولًا استرداد مكانته أمام ضابط المخابرات الإسرائيلى :

ــ سيكون من سوء حظِّه أن يفعل يا سيِّدى .

توقَّف (شيمون) أمام مكتب الحجز ، وسأل الموظفة فى صرامة :

— كم مقعدًا تم حجزها خلال الساعة الماضية على الطائرات المُقلعة بعد قليل ؟

راجعت الموظفة أوراقها فى ارتباك ، ثم أجابت :

— ستة مقاعد فقط يا سيِّدى .

صاح (شيمون) فى وجهها ، بلهجة تنمّ عن فراغ صبره :

— أعطنى أسماءهم .. هيَّا فلا وقت لدينا .

أسرعت الموظفة تخط أسماء المسافرين الستة على ورقة بيضاء ، اختطفها (شيمون) من يدها فى صرامة ، وقذف بها إلى الجندى قائلًا :

— أحضر هؤلاء الرجال إلى مكتب الأمن فورًا .. سأنتظرك هناك .

قال الجندى وهو يرتجف :

— هناك سيِّدتان ضمنها يا سيِّدى .. هل أحضرهما أيضًا ؟

صاح (شيمون) فى غضب ، وهو يسرع الخطا نحو مكتب الأمن فى المطار :

— الرجال الأربعة الباقون فقط أيها الغبىّ .

أسرع الجندى يطيع الأمر ، حين دخل (شيمون) مكتب الأمن فى حِدَّة ، وهو يقول للضابط الإسرائيلى المنوط به المكتب فى صرامة :

— الجنرال (شيمون إليعازر) من المخابرات .. صلنى هاتفيًّا بوزير الدفاع شخصيًّا ، إنه ينتظر محادثتى فى مكتبه .

نهض الضابط من مقعده ليحتله (شيمون) فورًا ، على حين أسرع الضابط يطلب رقم وزير الدفاع الإسرائيلى ، ولم يكد يسمع صوته حتى قال :

— هنا مكتب أمن مطار (تل أبيب) يا سيِّدى .. الجنرال (شيمون إليعازر) يطلب ..

لم ينتظر (شيمون) حتى ينتهى الضابط من حديثه ، بل اختطف سماعة الهاتف من يده ، وقال متحدثًا إلى الوزير :

— لقد أحكمنا الحصار حوله يا سيِّدى .. إنه لن يفلت من أيدينا ، وسيكون من سوء حظه أن يحاول السفر من هنا .

صاح وزير الدفاع الإسرائيلى فى ارتياح :

ــ حسنًا فعلت يا (شيمون) .. أخبرنى فور إلقائك القبض عليه .

ابتسم (شيمون) ، وهو يقول :

ــ بالطبع يا سيِّدى .

ثم أنهى الاتصال فى نفس اللحظة التى وصل فيها جندى الحراسة قائلًا :

ــ لقد أحضرت الرجال الأربعة يا سيِّدى .

قال (شيمون) فى لهفة :

ــ أدخلهم إلى هنا .

دخل الرجال الأربعة إلى مكتب الأمن ، والخوف واضح فى قسماتهم ، على حين مال (شيمون) بمقعده إلى الوراء ، وضمَّ كفَّيه أمام وجهه وهو يتأمَّلهم فى اهتمام ، ثم اعتدل فجأة ، وأشار إلى أحدهم قائلًا :

ــ يمكن لهذا الرجل الانصراف ، فهو بدين قصير ، والرجل الذى نبحث عنه يميل إلى الطول .

ثم أشار إلى رجل آخر متابعًا :

ــ وهذا أيضًا ، نحيل للغاية ، والجاسوس رياضىّ القوام .

انصرف الرجلان فورًا ، على حين بقى (شيمون) يتأمَّل الرجلين الآخرين فى صمت ، ثم قال موجِّهًا حديثه إلى أولهما :

ــ من أين أنت يا رجل ؟ وأين جواز سفرك ؟

لم يكد الرجل يخرج جواز سفره بأصابع مرتجفة ، حتى اندفع جندىّ الحراسة داخل مكتب الأمن ، صائحًا فى انفعال :

ــ سيِّدى الجنرال .. لقد أوقعنا بالجاسوس .

نهض (شيمون) فى حدَّة ، وسأل الجندىّ فى عصبية :

ــ أوقعتم به ؟! كيف ؟

ظهر الفخر على ملامح الجندى ، وهو يقول :

ــ لقد فعل كما توقَّعت تمامًا يا سيِّدى ، لقد وصل فى سيارة سوداء فارهة ، منتحلًا شخصيتك ، فأمسكنا به فورًا .

ساد الصمت لحظة ، ثم صاح (شيمون) فى انفعال :

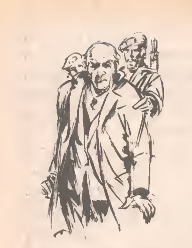
ـــ أحضروه إلى هنا .. أريد أن أراه فورًا .

ولم يكد يستقر ثانية على مقعده ، حتى اتسعت عيون الجميع دهشة ، إذ دفع الجنود فى خشونة إلى داخل الحجرة رجلًا ، هو التوءم المطابق لرجل المخابرات الإسرائيلى ، فى الملامح ، والقسمات .. ونهض (شيمون) نفسه والذهول يرتسم على ملامحه ، حينما صاح ذلك الرجل فى غضب ، وبنفس الصوت تمامًا :

ـــ ماذا تفعلون أيها الحمقى ؟ أنا الجنرال (شيمون إليعازر) .

ومع نهاية عبارته وقع بصره على (شيمون) ، واتسعت عيناه دهشة ، وساد مكتب الأمن الإسرائيلى سكون شامل ، واستولى الذهول على الجميع .

* * *



دفع الجنود فى خشونة إلى داخل الحجرة رجلًا ، هو التوءم المطابق لرجل المخابرات الإسرائيلى ..

١١ ـ صورة فى المرآة ..

ساد الصمت طويلًا داخل مكتب الأمن ، وكل من التوءمين يحدّق فى وجه الآخر فى دهشة ، على حين ارتسم الذهول على وجوه الآخرين ، وهم يقلّبون أبصارهم بين الرجلين ، اللذين بديا كصورة فى مرآة مزدوجة ، إلى أن صاح (شيمون) فى انفعال :

ـ ربّاه !! هذا مدهش ، مستحيل .

صاح الرجل الآخر فى غضب :

ـ تبًا لك أيها الزائف .. إنك تجيد التمثيل ، ولكننى (شيمون) الحقيقى .

ضحك (شيمون) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ هكذا ؟!. هل تظن أنك قادر على خداع الجميع ؟

صاح الرجل ، وقد بلغت عصبيّته مبلغها :

ـ لا تدعوه يخدعكم أيها الأغبياء .. أنا (شيمون) .. الجنرال (شيمون إليعازر) .

قال ضابط الأمن فى شراسة :

ـ لن يمكنك خداعنا .. إن السيّد (شيمون) الأصلى يجلس فى مكتبى منذ ربع ساعة ، ولقد تحدّث بنفسه إلى السيّد وزير الدفاع .. هل تظننا أغبياء لنصدّق روايتك ؟

صرخ الرجل فى غضب :

ـ أنتم أغبياء بالفعل .. لقد خدعكم جميعًا .

قال (شيمون) فى هدوء :

ـ هناك وسيلة بسيطة للتحقّق من ذلك .. لاريب أن الجنرال (شيمون) الأصلى يحمل بطاقته العسكرية .. أليس كذلك ؟

صاح ضابط الأمن فى حماس :

ـ بالطبع يا سيّدى .

صرخ الرجل :

— هذا صحيح .. إننى أوافق على ذلك ، وهاكم بطاقتى العسكرية .

ثم دسَّ يده فى جيب معطفه ، ولم يلبث وجهه أن شحب فجأة ، وهو يقول فى ذهول .

— يا للشيطان !! .. لقد فقدتها .

اطلق (شيمون) ضحكة خبيثة ، وقال وهو يخرج حافظة أوراقه ، وينتزع منها بطاقته العسكرية ، ويناولها لضابط الأمن ، الذى ابتسم فى ثقة :

— من العجيب أنها وقعت فى جيبى أنا أيها الجاسوس .. أليست مصادفة طريفة ؟

حدَّق الرجل فى وجه (شيمون) فى ذهول ، ثم دفع جندى الحراسة بعيدًا بصورة مباغتة ، وهو يصرخ :

— يا للشيطان !!

تحرَّك ضابط الأمن نحو الرجل فى سرعة ، ولكن مبادرة (شيمون) أدهشته ، حينما قفز فجأة عبْرَ المكتب ، ووجَّه لكمة ساحقة إلى وجه الرجل ، أعقبها بأخرى فى معدته ،

وثالثة فى أنفه سقط بعدها فاقد الوعى . فصاح ضابط الأمن فى إعجاب :

— يا إله الإسرائيليين !! لقد هزمته بمهارة رائعة يا سيِّدى الجنرال .. لَمْ أكن أتصوَّر كفاءة ضباط المخابرات إلى هذا الحدِّ .

ابتسم (شيمون) فى سخرية ، وقال :

— إنها أكثر مما تتصوَّر أيها الضابط .

ثم أردف فى عصبية :

— والآن .. غادروا المكان جميعًا ، وأحضروا لى زجاجة من النشادر .. فلدىَّ حديث سرِّى مع هذا الجاسوس بعد أن يستردّ وعيه .

أسرع الجميع ينفِّذون الأمر ، على حين قال ضابط الأمن فى احترام :

— هل أزيل تنكُّره يا سيِّدى ؟

ابتسم (شيمون) وهو يهزُّ رأسه نفيًا ، ويقول :

ـــ كلّا .. إننى أريده كذلك حتى يراه الجميع ، فهم لن يصدّقونى، إذا لم يروا تنكُّره المذهل بأعينهم .

ولم يكد مكتب الأمن يخلو إلّا من (شيمون) والرجل الآخر ، حتى ارتسمت ابتسامة غاية فى السخرية على وجه (شيمون) ، وهو يغمغم فى لهجة مصرية خالصة :

ـــ يا لكم من بلهاء أيها الإسرائيليون !!

* * *

استنشق (شيمون) الأصلى رائحة النشادر القوية ، فاهتزَّ رأسه ، واستيقظ فوْرًا ، ثم جلس يحدِّق فى ذهول فى وجه شبيهه ، الذى جلس قباله ساخرًا ، ومضت فترة من الصمت قبل أن يغمغم (شيمون) فى انكسار :

ـــ كيف فعلت ذلك ؟

قال (أدهم) ، الذى انتحل شخصية (شيمون) فى مهارة مذهلة :

ـــ الأمر بسيط للغاية أيها الوغد .. فلقد لاحظت تلك الحراسة المكثّفة غير المألوفة على أبواب المطار ، ومخارجه ،

ومداخله ، واستنتجت فورًا أن أمرى قد كشف بعد مغادرتى مكتب وزيركم .. ولقد درست شخصيتك جيِّدًا ، حتى أننى كنت أعلم بشكل يكاد يكون يقينيًا ، أنك ستهرع إلى هنا فورًا ؛ لتشرف على الأمر بنفسك .. فأنت لن تضيع لحظة إلقاء القبض على رجل خدعك مرتين .. ومن حسن الحظ أننى كنت أحمل بعض أدوات التنكُّر ، وصورة واضحة لك ، ووجدت أن أفضل الحلول هو انتحال شخصيتك ، برغم ما يسبِّبه ذلك لى من اشمئزاز .

غمغم (شيمون) فى مرارة :

ـــ هكذا بكل بساطة ؟!

تابع (أدهم) متجاهلًا هذا التعليق :

ـــ وتستطيع أن تقول إننى كنت أتوقَّع ذلك تقريبًا ؛ لهذا فقد عمدت إلى نشل حافظتك ، وبطاقتك العسكرية ، حينما كنت تعاوننى على النهوض فى أثناء انتحالى شخصية (ليلى) فى المرة الثانية .. لا شك أنك تذكر تعثُّرى وتعلُّقى بمعطفك ، والذى تصوَّرته أنت من تأثير المخدِّر حينذاك .

أومأ (شيمون) برأسه إيجابًا ، والهزيمة ترتسم ملامحها الواضحة على وجهه .. فعاد (أدهم) يتابع فى هدوء :

ــ وزيادة فى الإتقان ، انتحلت أسلوبك ، وثرت فى وجه الجميع ، واتصلت من مكتب الأمن بوزير الدفاع شخصيًا ، حتى أبعد كل شبهة عن شخصيتى لحين وصولك .

غمغم (شيمون) فى صوت أقرب إلى البكاء :

ــ يا للجرأة !! أو كنت تتوقَّع وصولى أيضًا ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ بالطبع يا عزيزى .. لقد تعمَّدتُ تحذير جنود الحراسة من انتحال الجاسوس لشخصية (شيمون) ، وبدأت استجواب المسافرين المشتبه فيهم بالفعل ، فلم تكن خُطَّتى لتنجح لو لم تأت أنت بنفسك إلى هنا .

غمغم (شيمون) فى سخط :

ــ هؤلاء الأغبياء .

ضحك (أدهم) قائلًا :

ــ لقد نفَّذوا الأوامر فى إتقان عجيب ، وسيكون من المؤسف ألَّا تصرف لهم مكافأة مجزية نظير ذلك .

قال (شيمون) فى سخرية مريرة :

ــ مكافأة ؟!

ثم سأل (أدهم) فى حنق :

ــ وماذا كنت ستفعل لو أننى وصلت قبلك ؟ أعنى لو أنك وصلت إلى المطار فوجدتنى هناك ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وقال :

ــ كل عمل فى هذه الدنيا ينطوى على بعض المخاطرة يا عزيزى .. أليس كذلك ؟

امتقع وجه (شيمون) غضبًا ومرارة ، وساد الصمت طويلًا ، ثم رفع عينين دامعتين إلى (أدهم) ، وسأله فى صوت متحشرج :

ــ هل تنتمى إلى المخابرات المصرية ؟

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال فى هدوء :

ـــ أنا مصريٌّ على أية حال أيها الإسرائيلى ، وكل مصرىّ مستعد للتضحية بحياته من أجل (مصر) .

مطَّ (شيمون) شفتيه ، وقال فى لهجة تقطر حقدًا ومرارة :

ـــ سأجعلك تدفع الثمن ، إذا ما التقينا مرة ثانية .

ضحك (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـــ هذا ما رددته على مسامعى منذ ما يزيد قليلًا على العام أيها الوغد ، ولكنك لم تفعل شيئًا .

اتسعت عينا (شيمون) ذهولًا ، وغمغم :

ـــ منذ ما يزيد على عام ؟! من أنت ؟

تبدَّلت لهجة (أدهم) ، وانطلق من حنجرته المرنة صوت مألوف فى أذنى (شيمون) يقول :

ـــ فى خدمتك أيها الوغد .

تدلَّت فكّ (شيمون) فى ذهول ، وقفزت دموع القهر من عينيه ، وهو يصيح :

ـــ أنت !! أنت ذلك المصرى الذى أنقذ ضابط المخابرات فى العام الماضى ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـــ نسيت أن أقدِّم لك شكرى على طائرتك الهليوكوبتر ، التى ساعدتنا على عبور البحر الميِّت يا سيد (شيمون)[*] .

انفجر الغضب فى وجه (شيمون) وصوته ، وهو ينهض متحفِّزًا صارخًا :

ـــ أنت ؟! أنت الذى تسبَّبت فى حرمانى الترقية إلى منصب مدير (الموساد) ؟ أنت الوصمة السوداء فى تاريخى ؟

أنت الذى تسبَّبت فى حرمانى الترقية إلى منصب مدير (الموساد) ..

(*) راجع قصة (الخطوة الأولى) .. المغامرة رقم (٣١) .

ثم قفز فى شراسة ، ومرونة ، متعلقًا برقبة (أدهم) ، وصائحًا فى جنون :

ـــ لن تغادر هذا المكان حيًّا .. لن أسمح لك إلا فوق جثتى .

* * *

١٢ ـــ القتال الأخير ..

كانت مبادرة (شيمون) مباغتة لـ (أدهم) ، الذى لم ينتظر استرداد الرجل لقوته فى هذا الوقت القصير ، إلا أن عامل المفاجأة لا يمكنه أن يؤثر تأثيرًا فعَّالًا فى رجل له سرعة الاستجابة المذهلة ، التى يتميَّز بها (أدهم صبرى) ؛ لذا فقد تحرَّكت قبضتاه فى سرعة خيالية ، لترتطما بجانبى (شيمون) فى قوة أجبرته على إرخاء قبضتيه من حول عنق (أدهم) ، والتأوُّه فى قوة وألم .. ولكن (أدهم) لم يمهله حتى تنتهى تأوُّهاته ، بل بادره بلكمة أخرى حطَّمت أنفه ، ثم جذبه من معطفه بذراع فولاذية ، وكال له لكمة على مؤخرة عنقه ، كان لها القول الأخير فى المعركة ..

اندفع رجال الأمن الإسرائيليون داخل مكتبهم ، بعد أن تناهى إليهم صوت الشجار ، وصراخ (شيمون) قبل أن يفقد وعيه ، وصاح أحدهم وهو يخرج مسدسه ، موجِّهًا حديثه إلى (أدهم) :

— ماذا حدث يا سيِّدى (شيمون) ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال وهو يشير إلى (شيمون) ، الذى استلقى أرضًا فاقد الوعى .

— يبدو أن هذا الوغد يرفض الحديث الودىّ ، ويصرُّ على القتال .

ابتسم ضابط الأمن فى إعجاب ، وهو يعيد مسدسه إلى جرابه قائلًا :

— من الواضح أنك لقّنته درسًا لن ينساه يا سيِّدى .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

— نعم .. أعتقد ذلك .

ثم التفت إلى الضابط مستطردًا :

— صِلْنى بالسيِّد وزير الدفاع .. لابدّ من إعلامه بما انتهى إليه الأمر .

أسرع ضابط الأمن يجرى الاتصال ، ثم ناول سمّاعة الهاتف إلى (أدهم) ، الذى قال فى هدوء ، مقلّدًا صوت ، ولهجة (شيمون) فى إتقان مذهل :

— لقد انتهى الأمر يا سيِّدى الوزير .. ألقينا القبض على الجاسوس .. هل تتخيَّل أنه انتحل شخصيتى فى مهارة مذهلة ؟

ولم يستطع منع نفسه من الابتسام ، وهو يتطلَّع إلى وجوه رجال الأمن مردفًا :

— ولكن رجال أمن المطار ، وجنود الحراسة كشفوا أمره فى ذكاء .. لابدَّ من مكافأتهم يا سيِّدى الوزير .

تهلَّلت أسارير الضباط والجنود الإسرائيليين ، على حين سأل وزير الدفاع فى لهفة وقلق :

— هل حصلت على المستند الذى سرق نسخته يا (شيمون) ؟ هل علمت بِمَ يتعلَّق ؟

داعب (أدهم) الوثيقة التى تستقر فى أمان داخل جيب معطفه ، قائلًا :

— نعم يا سيِّدى .. إنها قائمة بأسماء عملائنا فى أوربا .

صاح وزير الدفاع :

— يا للشيطان !! من حسن الحظ أنك تمكّنت من إلقاء القبض عليه .. ويمكننى الآن أن أنام مطمئنًا .
ظهرت الابتسامة الساخرة على وجه (أدهم) ، وهو يقول :
— نَمْ مطمئنًا يا سيِّدى .. ستسير الأمور على ما يرام حتى الصباح ، وعندئذ يكون كل شىء قد انتهى .
لم يكد (أدهم) يضع سمّاعة الهاتف وينهى الاتصال ، حتى بادره ضابط الأمن قائلًا :
— ماذا نفعل بهذا الجاسوس يا سيِّدى الجنرال ؟
أجابه (أدهم) ، وهو يتأمَّل (شيمون) فى سخرية :
— أرسلوه إلى السجن الحربى فورًا ، وحذار أن ينزع أحدكم تنكُّره قبل أن أذهب إليه فى الصباح .
ثم صاح فجأة متظاهرًا بالغضب :
— والآن .. فليعُد جنود الحراسة إلى ثكناتهم ، لم يعد هناك داعٍ لإثارة الخوف والقلق فى نفوس المسافرين .. أريد أن يعود كل شىء كما كان .
والتفت إلى ضابط الأمن ، قائلًا فى لهجة بدت غامضة فى أذنى هذا الأخير :

— سأرحل الآن أيها الضابط ، ولكننا سنلتقى قريبًا .. قريبًا جدًا .

* * *

حدث هذا اللقاء بأقرب مما يتصوَّر ضابط الأمن الإسرائيلى ، وعلى نحو لم يتوقعه ، أو ينتظره مطلقًا ؛ إذ أنه بعد ساعة واحدة من هذه الأحداث ، وبينما كان الضابط يقف أمام مكتب الأمن ، اقترب منه شاب وسيم يتحدَّث الإنجليزية بلكنة إيطالية واضحة ، وسأله فى صوت واضح الارتباك :
— هل يمكننى حجز مقعد على أيَّة طائرة مسافرة إلى (إيطاليا) الآن ياسيِّدى ؟ .. إننى أدعى (بنيتو سلفانيونى) ، ولقد تلقيّت مكالمة عاجلة تفيد أن والدتى تحتضر فى بلدتى (نابولى) .. هل يمكننى السفر فورًا ؟
أشار الضابط إلى مكتب الحجز قائلًا :
— يمكنك أن تسأل فى مكتب حجز المقاعد الإضافية يا سنيور (سلفانيونى) .. هيَّا .. سأصحبك إلى هناك .

لم تكد تمضى نصف ساعة ، حتى كان (أدهم) يحمل تذكرة طائرة باسم (بنيتو سلفانيونى) ، ويحوز مقعدًا على الطائرة المتجهة إلى (إيطاليا) بعد ساعة واحدة ، ولم ينس إمعانًا فى السخرية ، أن يتوجه إلى مكتب الضابط الإسرائيلى ، ويصافحه قائلًا :

ـــ شكرًا أيها الضابط .. لقد ساعدتنى كثيرًا .

ابتسم الضابط الإسرائيلى فى فخر ، وهو يقول :

ـــ يسرُّنى أن أساعدك يا سنيور (بنيتو) .

وفى الساعة الثانية عشرة تمامًا ، كان (شيمون إليعازر) ضابط المخابرات الإسرائيلى يضرب حوائط السجن الحربى بقبضتيه ، صارخًا فى غضب جنونى :

ـــ أخرجونى أيها الحمقى .. لقد خدعكم ذلكَ الشيطان المصرى .. أنا الجنرال (شيمون) الحقيقى .

وفى نفس اللحظة ، وعلى بعد آلاف الأميال ، كان (أدهم صبرى) يقف أمام مكتب الحجز فى مطار (روما) ، ليتسلَّم تذكرته على الطائرة المسافرة إلى (مصر) ،

وقد أثارت تلك الابتسامة الساخرة على شفتيه دهشة الجميع ، حتى أن ضابط الأمن الإيطالى راجع جواز سفره المصرى الذى يحمل اسم (أدهم صبرى) أكثر من مرة فى شك ، ثم لم يلبث أن سمح له بالمرور ، حينما تأكد من صحة الجواز ..

وفى تمام الثالثة صباحًا بتوقيت القاهرة ، هبطت الطائرة التى تقل (رجل المستحيل) فى مطار القاهرة ، وهبط منها (أدهم صبرى) وهو يبتسم ، وبيده قابضة على خريطة أنابيب النار النابالم .. تلك الوثيقة التى كان لها جزء كبير من فضل النصر فى حرب أكتوبر العظيمة ، وكانت السعادة تملأ قلبه ؛ لأنه صنع جزءًا من النصر لمصر .

* * *



١٣ ـ الختام ..

أغلق (قدرى) ملف عملية (خيط اللهب)، وجلس ساهمًا بضع لحظات، ثم انفجر فجأة مقهقهًا بأعلى صوته، واستغرق فى الضحك، حتى أن جسده البدين اهتزَّ فى قوة مع ضحكاته، وهو يضرب كفًّا بكفٍّ قائلًا:

ـ يا لك من داهية يا (أدهم) !! لقد خدعت الجميع .. لقد انتصرت حرأتك على عمالقة إسرائيل .. لقد حطمت غطرستهم تمامًا .

احتبست ضحكاته فجأة، حينما وقع بصره على وجه مدير المخابرات، الذى دخل إلى الحجرة فى غفلة منه، وجلس يراقبه فى هدوء، وتلعثم (قدرى) وهو يقول:

ـ معذرة يا سيِّدى .. لقد انتهيت توًّا من مطالعة ملف العملية، و ...

قاطعه مدير المخابرات، قائلًا فى هدوء:

-لا عليك يا (قدرى) .. لقد انتابنى الإعجاب والمرح أنا أيضًا حينما طالعته .

ثم جذب أحد المقاعد، وجلس فى بساطة، وقال وهو يشعل سيجارته:

ـ لقد أصابهم (أدهم) بالذهول والغيظ فى تلك العملية، وأصاب رجال المخابرات وقتئذٍ بالدهشة والإعجاب، حتى أن (حازم عبد الله) ـ وكان يعمل حديثًا أيامها فى المخابرات برتبة ملازم أول ـ هتف من شدة إعجابه قائلًا: يا للرَّوعة !! هذا الشاب يستحق لقب (رجل المستحيل)، وقد كان .

ابتسم (قدرى) فى مرح، وصاح:

ـ إذن فالمقدم (حازم) هو أول من أطلق على (أدهم صبرى) اسم (رجل المستحيل) والله إن هذا سيجبرنى على احترامه مستقبلًا .

ضحك مدير المخابرات، وقال:

ـ من العجيب أن (أدهم صبرى)، حينما تلقى أمرًا

بضمه إلى جهاز المخابرات المصرية ، طلب الإبقاء عليه فى قوات الصاعقة حتى تنتهى الحرب ، التى كان من القلائل الذين يعلمون موعدها فى ذلك الحين ، ولقد استجابت الإدارة لطلبه ، وتم ضمه بالفعل بعد أن أبلى بلاءً حسنًا طوال حرب أكتوبر ، حتى أنه نال وسامًا حينذاك ، ولكنه قلّما يتحدث عن ذلك .

غمغم (قدرى) فى إعجاب :

ـــ ياله من رجل !!

ابتسم مدير المخابرات فى هدوء ، وقال :

ـــ إننى لم آت لأحادثك عن ذلك فى الواقع ، ولكن لدىّ خبر أردت أن أخبرك به بنفسى ، ربما لرؤية انفعالك حينما تستمع إليه .

امتقع وجه (قدرى) ، وهو يغمغم فى صوت خافت :

ـــ لعله يتعلق بالعقيد (أدهم صبرى) يا سيّدى .

اتسعت ابتسامة مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـــ أصبت يا (قدرى) .. لقد استردّ (أدهم صبرى) وعيه .

ظلّ (قدرى) يحدّق فى وجه مدير المخابرات فى ذهول بعض الوقت ، ثم تفجّرت دموع السعادة فجأة فى عينيه ، وهو يصرخ هادرًا :

ـــ استردّ وعيه ؟!

واختلطت ضحكاته بصيحاته فى مزيج عجيب ، يشفّ عن الفرح البالغ والسعادة الحقّة ، وهو يهتف :

ـــ حمدًا لله ... حمدًا لله .. هذا أسعد خبر سمعته فى حياتى بأكملها .

سقط (قدرى) فجأة على مقعده ، وانطلق يبكى فى حرارة ، ومدير المخابرات يراقبه فى صمت حتى جفّت دموعه ، ورفع رأسه قائلًا :

ـــ أريد أن أسافر إليه فى (المغرب) يا سيّدى .. أرجوك .

ابتسم مدير المخابرات فى حنان ، وهو يناوله جواز سفر قائلًا :

ـــ لقد حصلنا لك على تأشيرة الدخول ، وإذن بالزيارة .. رافقتك السلامة يا (قدرى) .

ظهر التأثر على وجه (قدرى)، وهو يتناول جواز سفره مغمغمًا :

ــ كيف يمكننى أن أشكرك يا سيّدى ؟

نهض مدير المخابرات قائلًا :

ــ بأن تعود إلينا سريعًا يا (قدرى)، وبألا تعانق (أدهم صبرى) فى قوة، فصحيح أنه استرد وعيه، ولكنه لم يسترد عافيته تمامًا، فجراح عموده الفقرى لم تلتئم تمامًا بعد.

غادر مدير المخابرات غرفة (قدرى) فى هدوء، ورفع هذا الأخير رأسه إلى السماء، وتمتم فى انفعال، وسعادة :

ــ شكرًا لك يا إلـٰهى، لقد أبقيت لنا (رجل المستحيل).

* * *

[تمت بحمد الله]